



الروض الهتون

في اخبار مكناسة الزيتون



للمؤرخ العلامة المحقق
ابى عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن غازي العثماني
المكناسي



طبع بعد الاعتناء بتصحيحه
سنة ١٣٧١ — ١٩٥٢

مكتبة المكناسي

شارع المأمونية بالرباط — تلفون : ٣٩-٤٨



وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذي حبب الاوطان ، للظاعنين من أهلها والقطان ، والصلاة والتسليم
على سيدنا محمد ذي الشيم الحسان ، وعلى آله وحجبه أولى البر والصبر والتقى والاحسان
وبعد فهذا روض هتون ، في أخبار مكناسة الزيتون ، مسقط رأسي ، ومحل النسي
بلاد بها نطت علي تمائمي * وأول أرض مس جلدي ترابها
وانما عرف هذا البلد بهذه الاضافة ليمتاز عن مكناسة تازا وذلك ان من قبائل
زنادة قبيلة يقال له مكناسة، منهم فخذ بتازا شرقاً من مدينة فاس بينهما نحو سبعة برد،
ومنهم فخذنان بهذا الموضع المراد غرباً من مدينة فاس وبينهما نحو ثلاثة برد ونصف
بريد فتميزت احدهما عن الاخرى بما اضيفت اليه ومكناسة الزيتون لها واد يسمى في
القديم فلغلا ويعرف الآن بابي عمائر وفيه يقول شيخ شيوخنا الاستاذ ابو عبد الله
ابن جابر الغساني في ارجوزته المسماة بنزهة الناظر لابن جابر
فلن ترى في سائر العماير * مثل محاسن أبي عمائر
يمر النهر المذكور من قبله الى جوف قريباً من سورها ، اصله والله تعالى أعلم
من جبل بني فازاز ، ومكناسة هذه بلدة خصبة ذات عيون وأنهار وثمار كثيرة
واشجار وهي كما وصفها ابن الخطيب اذ يقول :

حيث يا مكناسة الزيتون * قد صح عذر الناظر المغتور
طيب الهواء وصحة الماء الذي * يجري بها وسلامة الخزوف
وكفالك شاهد حسنهما وجماها * أن أوثرت بالقرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بحجوه * وجرت عذاب مياهه بعيون
فكانما هو بربري نافذ * في لوحه ، والتين والزيتون

وقال الاستاذ ابن جابر الغساني

لاتسكرون الحسن من مكناسة * فالحسن لم يرح بها معروفاً
ولئن تحت أيدي الزمان رسومها * فلربما اقبلت هناك حروفاً
وهي كثيرة الفواكه والمزارع والمسارح فيها أنواع كثيرة من الهلالج المسمى
بغرب الاندلس : العبقري ، ويسمونه البرقوق لايسكاد يوجد مثله في غيرها من البلاد
كثرة وطيباً وغضارة خصت بذلك . وفيها المشمش المسمى بالاندلس : البرقوق ، وفيها
انواع من التفاح طيبة من جملتها نوع يسمى الطرابلسي حلو عطر يعقد مرتين في
العام في أكثر الاحوال ويسمون الآخر منه العودة وهو عطر جداً أصغر جرساً من
البطن الاول ، وفيها أنواع كثيرة من الاجاص ، وفيها سفرجل كثير طيب حلو
وحامض ويركب التفاح فيه فيوجد ويركب ايضاً فيه الاجاص ، وفيها انواع من
الزمان كثيرة طيبة كالسفري والراهبي وميمونة والنيمي والاخضر ، ورماتها القديم
صنف يقال له القالبي وهو جليل شديد الحلاوة ذونوى وفيها الجوز والخوخ ، وفيها
من أنواع العنب الابيض والاسود كثير طيب يطبخ ولايزب ، وفيها من التين أنواع
منها الشعري ككشعري اشيلية ومنها نوع يقال له السبتي وهو أبيض الطول رقيق
البشرة وهما نوعان طيبان اذا اكلا اخضرين ، ومنها نوع جليل ابيض للخضرة
مستدير يقال له الانبضار يشرح فتاتي شريحته في غاية الطيب وغير ذلك من انواع
التين كالاشكوز والشبلي والحمراء والغدان والحافر والنقال وغيرها ويجلب اليها البلوط
الجليل الحلو واما الزيتون فهو فيها كثير جداً ولذلك اضيفت اليه واشتهرت به
ولما ولي محمد بن عبد الله بن واجاج في أول أيام الموحدين بلاد المغرب سيفاً وعملاً
غرس بها وبفاس وبلقرمدة وبرباط تازا بحيرات اكثر غراساتها الزيتون فكان حب
زيتون بحيرة مكناسة يباع عام الحمل بخمسة وثلاثين الف دينار ونحوها وحب زيتون
بحيرة فاس بخمسين الف دينار ونحوها وحب زيتون بحيرة تازا بخمسة وعشرين
الف دينار ونحوها وذلك قبل ان يستولى على المغرب تخريب بني مرين عند احتلال
امر الموحدين ، وفي بحيرتي فاس ومكناسة أنواع كثيرة من الفواكه الصيفية
والخريفية والورد مما كان له غلة جليلة ، وفيها أرض بيضاء للخضر والكتان تكثر
بمال جسيم ، وغراسات مكناسة كلها سقي الا ما كان منها بحكم النادر ، وقد باد زيتونها
لهذا العهد الا قليلاً لما توالي عليها من الفتن والبقاء لله وحده وكانت البلاد قبل فتحها

ديار كفر مجوس ونصاري وحاضرتها اذ ذاك مدينة يقال لها وليلى سميت باسم ملكها وليلى واثارها عظيمة باقية لهذا العهد بارض خير من ناحية جبل زرهون تعرف اليوم بقصر فرعون قيل ولم تكن مكناسة في القديم بمدنة وكانت حوائر كثيرة متفرقة وهى تاورا وبنو عطوش وبنو برنوس وبنو شلوش وبنو موسى وهذه كلها على الضفة الغربية من وادى فلفل المذكور الا تاورا فانها بضعفتها الغربية والشرقية، وغراساتها كلها منتظمة متصل بعضها ببعض لافاصل بينها وتاورا اقرب الحوائر الى المدينة من جهة باب البراذعين، ومن حوائرها ايضاً بنو زياد وتقع غرباً من الحوائر المذكورة وليست على الوادى المذكور لكن لها منه جدول من نوع ساقية طويلة المسافة صعبة المجرى، ومن حوائرها ايضاً ورزيفة يذكر أن أصل أهلها روم وتقع شرقاً من نهر فلفل وبينها مسافة، ولورزيفة حارتان قريبتان: منها بنو مروان وبنو غفجوم، وبنو مروان اقرب اليها وماؤها من وادى ويسلن من اودية مكناسة وبها عيون وكانت ورزيفة مخصوصة بالامن يسكن أهلها الخيات بالجنات فلا يلحق أحدهم خوف ولا يتوقعه الامن الاسد خاصة، وبينى زياد ايضاً عيون يسقون بها بعض املاكهم ويسقون بعضها بالساقية المخرجة من وادى فلفل المذكور وبعضها بعل وكان العنب البعل بها في غاية من الطيب بموضع هنالك يقال له امتروى اليه ينسب العنب المتروى هنالك قال الاستاذ ابو عبد الله بن جابر في زهرة الناظر بعد ما ذكر اصناف الاعناب التي بمكناسة

لكننى اقول دون سوء * ما فاق الاعناب سوى المتروى وهو عنب أبيض شديد الحلاوة ولا سيما الاتى منه ويذكر أنه من قوته لا يستحيل خراً الا عند اعتدال الزمان، ومن غلوهم فيه انهم يقولون انه يستصبح بخمره وهنالك قرية كان يقال لها قرية الاندلس كانها من عمل بنى زياد سكنها على قديم الزمان قوم أندلسيون وتناسلوا بها وأقاموا دهرأ لم تتغير ألسنتهم ولا أشكالهم الا من كان منهم كثير الامتزاج باهل البلاد فانه تغير لسانه وكانت لهم بالقرية المذكور كرمات بعل في أرض رملة حمراء (كذا قيل)، وهذه القرية والله تعالى أعلم هى المسماة في هذه الاعصر تلاجدوت وبها جرى المثل السائر دار الكرامة ياتلاجدوت، ومنها كان الشيخ أبو الحسن علي بن يوسف التلاجدوتى المدعو بسيدى علي بن يشوا

وهو من شيوخ شيخنا الفقيه الحافظ سيدي أبي عبد الله محمد القوري والحطيب البليغ
المصقع سيدي أبي العباس أحمد بن سعيد الحباك الغفجميسي، وكلامهم اليوم يتكلمون
برطابة البربر المفرطة في العجمة وكانت حارة تاورا التي هي أقرب
الحوائر الى المدينة الآن يشقها وادي فلقل ديارها على ضفته شرقاً وغرباً
والغراسات بها وبسائر الحوائر متصلة بالديار، وتساورا أرحي كثيرة كان أكثرها
تحتوي على أربعة أبحار وكان من جملتها بيت واحد للزغابشة يحتوي على خمسة أبحار
وكان فيها حمامان اثنان اخدهما منسوب للزغابشة والثاني المختص يعرف بحمام أبي
الخيار بازائه عين كبيرة تنسب كذلك لابي الخيار ماؤها عذب معين صاف تسقى
بها طائفة كثيرة من أملاك تاورا ومن أملاك من تحتها وكانت حارة تاورا تنقسم
اقساماً قسم يقال له بنو عيسى ديارهم بالضفة الغربية من الوادي يذكر أنهم أصل بني
زغبوش لكن لا نعلم صحة ذلك غير أنهم كانوا يجدون في بعض العقود القديمة نسبتهم
الى عيسى بلفظ فلان بن فلان العيسوي ويستدلون بذلك على أن بني زغبوش من
بني عيسى والله تعالى أعلم وقسم بالضفة المذكورة قبلة من بني عيسى يقال له بنو
يونس، ويسمى أيضاً هذا القسم تاورا الفوقية وبهذا القسم كان المسجد الجامع وبين
هذين القسمين موضع عال جداً يعرف بالجهنمية، وقسم بالضفة المذكورة يقال له فاس
الصغيرة كانها سميت بذلك لاختراق الماء خلالها كمدينة فاس والضفة الشرقية
من الوادي قسم يقال له الجنان الصغير وقسم يسمى بني ابي نواس، وقسم
يسمى حارة بني زغبوش وحارة الزغابشة، وثم كانت ديار بين بني محمد بن حماد وغيرهم
وكان بني زياد حمام وبني مروان حمام يعمران وكان ببني موسى حمام تعطل قبلها والله
تعالى اعلم وكانت هذه المواضع كلها في غاية من الخصب وكثرة المياه والاشجار وكان
أهلها عامنين مطمئنين في عيش رغد ونعمة تامة منذ ملك امراء المسلمين بنو تاشفين
بلاد المغرب واخذ الله تعالى بسيفهم نار الفتنة البربرية فانقطعت مطامع رؤس النفاق
من بربر المغرب، قيل ولم يكن لهذه الحوائر قديماً مدينة مسورة وكان واليها يسكن
قصرأ ادركه القدماء خراباً يعرف بقصر تؤزجين ولعل جيمه معقودة وهو على ربوة
من الارض شرقاً من بني زياد وغرباً من وادي فلقل وجوفاً من المدينة الآن فلما
ظهر أمر الموحدين احدث المرابطون على الوادي المذكور غرباً منه حصناً سموه

تاجدارت بالجيم المعقودة وكذلك بقي اسمه وتفسير هذا اللفظ المحلة او المجتمع بلسان
البربر هكذا قيل وهذا الحصن هو المدينة الموجودة اليوم لهذا العهد فلما أخذوا
في بنائها اجتهدوا فيه وأعجلهم الامر حتى احتاجوا على ما يحكى الى اقامة شقة
من سور بالاهوية المتخذة من الدوم لادخار الاطعمة ويسمى واحدها بلسان
البربر اسكل وملؤها ترابا وقتلوا دونها حتى اكملوا البناء بعد ذلك وفي القطر
المغربى من أبراج سورها برج مبنى بالحجر والجير بناء محكما يسمى برج لينة سمي
بذلك لانه بنى من لينة فيما زعموا ونقل الوالى بدر بن ولجوط بالجيم المعقودة الى
المدينة المذكورة وجوه الناس واغنياءهم ولم يترك من الاقوات شيئا الا نقله اليها
وترك جمهور الناس في مواضعهم فأول غارة شنّها الموحدون على تلك الارض بسوق
الغبار يوم الاحد وذلك انه لما وضعت هذه الموضوعات على الضفة المذكورة من التفرق
كانت لهم سوق غبار بازاء قصر توزجين المتقدم الذكر وهو الذي يسمى بالسور القديم
بالراء او بالسوق القديم بالقاف كما يجري على ألسنة الناس اليوم ومسجد الحصن المذكور
وصومعته لم يزل قائمين لهذا العهد وكان أهل الحصن وأهل الحواري يجتمعون الى
تلك السوق يوم كل أحد ، فبينما هم يوم احد قد اجتمعوا وكمّلوا بالسوق المذكورة
وهي بارض مرتفعة اذ أشرفوا على خيل مقبلة اليهم في زى المرابطين : اللثم والغفائر
القرمزية والمهاميز التأشيفية والسيوف المحلاة والعائم ذوات الدواب فلما رأى القوم
هذا الزى قالوا: تقوية السلطان جاءتنا وسارعوا للقائهم فرحين بهم وهبطوا عن
أخراهم فلما خرجوا عن منع الحصن والسوق حسر الفرسان اللثم ونادوا : أبابا يا المهدي
وكان ذلك شعارهم وأحالوا السيوف عليهم ولم ينج واحد منهم فيما ذكر وكانوا آلافاً
رحمهم الله وما زال الناس لهذا العهد يتحدثون ان المقابر التي عند باب مسجد السوق
القديم هي مقابر شهداء قلعلهم هم والله تعالى أعلم ، وكان الموحدون حينئذ يسمون الناس
المجسمين ويقاتلونهم قتال كفر وكان الناس يسمونهم خوارج ولم تنزل الغارات
تشن عليهم فيقتل الرجال ويبى النساء والذرية وتسباح الاموال ، والتصديق يتوالى
والمسكند تدبر والحيل تدار حتى ضاق ذرع الناس بكثرة الوقائع عليهم ، ومن
الاخبار التي كانت مشهورة عند اهل الوطن انه كان باحواز تاورا شجرة كبيرة من
الثم الاسود المسمى بالتغصاص باشمام الصادين زابين وربما يكتبه المتفاحون

التقصاص بقاف وصادين فيينا الناس قد انبسطوا لتدبير أشغالهم ومعايشهم اذ فاجأهم
الحيل وأحاطت بهم فاجئوا الى تلك النشمة وظنوا النجاة فيها فتعلق بها منهم خلق
كثير وضم الموحدون الحطب لتلك الشجرة واضرموا النيران حولها فسقط كل من
كان فيها واحترقوا عن آخرهم واحترقت النشمة وبقيت منها بقية مدة من الزمان
وكانت عند أهل الاوطان من جملة مواعظ تلك الفتنة فلما فتحت فاس للموحدين
عام اربعين وخمسة انتقلوا الى مكناسة وبينها ما يقرب من اربعين ميلا وانزلوا عليها
وخندقوا عليها خنادق زعموا انها سبعة خنادق ليحصنوا بها محللتهم خوفاً من معرفة
أهل البلد لما علموا من جرأة أهل البلد وشجاعة عاملها يدر بن ولجوط (وذكر
ابو زيد ابن خلدون) في كتاب العبر، وديوان المبتدا والخبر، في أيام العرب والعجم
والبربر، وغيرهم من ذوي السلطان الاكبر: ان عبد المومن بن علي لما فتح
فاس ترك بعض عماله محاصراً لمكناسة وانصرف هو الى حضرة مراکش
فحاصروا مدينة مكناسة سنين وأشهرأ قيل ان السنين سبع وقيل أربع ولاخلاف
في أربع واشهر وانما الخلاف في الزائد عليها وكان بعض من يغلوا في مدة الحصار
يقول سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة أيام والله تعالى اعلم، وحين نزل الموحدون مدينة
فاس كان بها من أهل تاورا أبو محمد عبد الله بن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش
يقرأ وسنه يومئذ نحو خمس وعشرين سنة فتشوق أحد الايام لالاشراف على محلة
الموحدين فخرج من مجلس القراءة وسط النهار وقد انصرف الناس الى ديارهم
والاسوار خالية الا من حراسها فطلع السور ليطلع منه عليهم فيينا هو يمشي على
السور حدثته نفسه بالهبوط اليهم فارتاد موضعاً خالياً خفياً عن الحرس وربط عمامة
في احدى شرافات السور وتقلد خريطة كتبه وتعلق بالعمامة وكانت ضعيفة فلما ثقلت
انقطعت وسقطت في الارض واعتلت احدى قدميه وتسارع اليه الموحدون ورفعوه في
درقة ووضعوه بين يدي عبد المومن بن علي واكرمهم الموحدون وأحسنوا اليه وكتب
له عبد المومن صكاً بتسوية ماله ومال أبيه وأقام معهم يظعن لظعنهم ويقيم لاقامتهم
مبروراً لديهم عزيزاً عليهم وكانوا يلحظون من يمت اليهم بسابقة أو هجرة فلما نزلوا
مكناسة ظهر عبد الله بن زغبوش المذكور بمحلتهم واتصل ذلك بالوالي يدر بن
ولجوط فقبض على أبيه محمد بن حماد في سبعة من قرابته او مع سبعة منهم، وكان

محمد هذا فقيهاً خيراً قرأ بقرطبة وبغيرها وصحب جلة من أهل زمانه وثقهم يدرين
ولجوط في دار وجعل عليهم حراساً ولم يمنع عنهم الزوار واشتد الحصار وتمسكوا
وهم متفقون الى ان اصبحوا مقتولين ذبحاً وفي الدار نقب نفذ السور ، فقبل انهم
راسلوا عبد الله المذكور في أن يأخذ لهم عهداً او يتحيلوا في الخروج ، وقيل ان جماعة
من الموحدين أصبحوا في ذلك اليوم قريباً من النقب ينتظرون خروجهم فقبل حتى
يُسوا وقيل حتى علموا بقتلهم وقيل ان ذلك النقب كان من فعل الوالي بعد قتلهم
ليقيم بذلك عند الناس حجة في قتلهم ، وذكر بعض الناس ان هذه الرواية أقرب
من الاولى لان والد عبد الله لم يكن راضياً عنه في هجرته اليهم ، وزعم أهل
الرواية الاولى ان سبب اتصال عزيمتهم على الخروج بالوالي كان ان احدهم كانت
زوجه من قوم كانوا عدواً لهم فزارته فعرفها بعزيمتهم ثقة منه بها فأخبرت بذلك
أخاها رجاء أن يخرج معهم ويخلص بنفسه وحضته على ذلك اشفاقاً منها عليه فشارت
عداوته وأمكنته الفرصة فيهم فوشى بهم الى الوالي يدرين ولجوط فنفذ فيهم حكم
الله سبحانه ، حكى انه دخل عندهم أمس اليوم الذي أصبحوا فيه مقتولين شاب من
أحوال احدهم من بني علالة وكان حسن الصوت حافظاً لكتاب الله العزيز مجيداً
لقراءته وكانت عادته اذا دخل عليهم يؤنسهم بقراءة القرآن فسألوه في ذلك اليوم
قراءة عشر فقرأ اقتربت الساعة فكان ما ذكر من حكم الله فيهم وكان أمر الله قدراً
مقدوراً ، وبقي الجيش محاصراً للمدينة وصاحب المدينة يبالغ في نكابة الموحدين
والنيل منهم والجناد لا تغني عن محلتهم شيئاً ، ذكر أنهم حفروا اول خندق قريباً
من المدينة فضيق عليهم الم رابطون ومن معهم في المدينة حتى رجعوا وراءهم وخندقوا
ءاخر ولم يزالوا كذلك يضيقون عليهم ويرجعون وراءهم ويخندقون حتى اكملوا
سبعة وامر الموحدين يستوسق وينتشر ويزيد ظهوراً والقبائل تتابعهم وترد عليهم
افواجا والفتوح تتناسق وسكان الجبال ينزلون اليهم من صياصيا مدعين حتى ان
من قطر مكناسة ونواحيها جبلاً كثيراً مانعاً خصيباً يقال له زرهون وفيه من الخلق
امة كثيرة لا تحصى عدة ارسلوا يلعبهم مع جماعة منهم الى عبد المؤمن بن علي وهو
يومئذ بين الصخرتين من أحواز تلمسان وجروا الموحدين على دخول المغرب
واعانواهم على محاصرة مدينة مكناسة فكانوا ابداءً مبغضين لاهل تلك البلاد وكانوا

بسبب سبقهم احراراً من المغارم كتب لهم بذلك صكوكا كانت بأيديهم ولم يتعرض
لاموالهم كما فعل بالاملاك التي اخذت عنوة اسكنهم كلّفوا ائخراً من السكف الطارئة
ما لم يكن لهم بحملة طاقة ولم ينفعهم بدارهم ، وكان ظلمة العمال يسمون هذا الجبل
جبل الذهب ويذكر أن أصل أهله روم وباسفله على اثني عشر ميلا من مكناسة بموضع
يقال له تازجا أثر بناء عتيق ضخيم يسمى قصر فرعون وكان ثم سوق غبار يجتمع فيها
يوم الاربعاء وتنسب هذه السوق لوليلي ويذكر ان وليي كان ملك الروم وكانت
له هناك تلك المدينة وهي كانت حاضرة تلك البلاد، كذا ذكر بعض المؤرخين ، ولما
استولى الفتح على المغرب شمل مدينة وليلي وغيرها وبها نزل السيد الطاهر النقي التي
ادريس بن عبد الله رضي الله تعالى عنه على شيخ اورية حسبها هو مذكور في
تاريخه فلما رأى الموحدون انقياد الناس اليهم وتوالي الفتوح عليهم احتقروا حصن
مكناسة واستطالوا مدة اقامة الجيش عليه وظنوا بصاحب الجيش تقصيراً فبعث عبد
المومن بن علي أحد عظماء الموحدين ليطلع على ذلك فوافي الجيش وعاتب أميره
واستنقص جده وحقر الحصن وأميره فأرسل أمير الجيش الى أمير المدينة بدر بن لجوط
يخبره بما لقي من الواصل اليه وسأل منه عملاً تقوم له به الحجة عليه فبينما الموحدون
قد اجتمعوا للقتال وهم يتفاوضون في كفيته ويتواصون بالعزم والصبر اذا بباب المدينة
قد فتح عشرة من الفرسان ودفعوا كانهم الطير سرعة او الرعد صولة وضربوا في
الجيش وتبعهم عشرة بعد عشرة الى ان كلوا خسين ونالوا من جيش الموحدين نبالا
عظيماً فرأى الواصل من اقدامهم وجزأتهم وقوة شوكتهم وشدة بأسهم ما هاله فقال
بلسان المصامدة (ذأ امطيرايا) ومعناه هذا عجب وظهر عذر أمير الجيش فيما ظن به
من التقصير وتمادى الحصار واستد التضييق وفنت الاقوات واضطر الناس الى اكل
خسيس الحيوانات حتى عدم كل ذلك وهلك الناس قتلا وجوعاً وفتحت البلاد
للموحدين بالمغرب والاندلس طوعاً وعنوة ومات الامير تاشفين بن أمير المسلمين علي بن
يوسف بن تاشفين ملك المرابطين بساحل تلمسان على الضفة المشهورة وقد ذكرها
ابن خلدون وغيره ولم يبق للموحدين مناو ولا منازع ويأس بدر بن لجوط من الفتح
والنصر ولم يكن له بالضبط طاقة فطلب التجارة بنفسه وأهله ومن بقي من فرسانه
خاصة وأسلم المدينة ومن فيها من بقايا المنحصرين للردى وخرج في خمسين فارساً على

ما ذكر ودخل الموحدون المدينة فسفكوا الدماء وسبوا النساء والذرية واستباحوا الاموال وتمادوا على ذلك يوماً كاملاً ونادى مناديتهم في آخر النهار برفع السيف وعظم البلاء في ذلك اليوم على الناس وكان ذلك في اول عام خمسة وأربعين وخمسمائة وهي ثانية السنة التي توفي فيها القاضي ابو الفضل عياض بمراكش وثالثة السنة التي مات فيها ابو بكر بن العربي بن خمارج فاس مسموماً وهو ابو يحيى المشهور مدفنه هنالك . وكان نزول الموحدين على مكناسة في القول الصحيح آخر عام أربعين فمدة الحصار على هذا أربع سنين واشهر وبقيت المدينة خالية الا من فل الموت قتلاً وجوعاً وتفرق ذلك الفل وانتثر عقد نظام الناس وجلا بعضهم واشتغل بعضهم بطلب المعاش وتعلقوا بالحرف والصنائع وتملك الموحدون البلاد والاموال وصار الناس عساراً في املاكهم يوخذ منهم نصف الفواكه الصيفية والخريفية وثلثا غلة الزيتون وكانت العادة اذا بدا صلاح الغلات يباع حظ المخزن منها حارة فحارة وكان المشترون لها قوماً لا خلاق لهم يقال لهم القشاشون فتستطيل ايديهم على حظوظ الرعية ويضيقون عليهم حتى يبيعوا منهم حظوظهم بثمان نحس أو يشتروا منهم حظ المخزن غالباً فكان الناس من ذلك في جهد عظيم ومحنة شديدة لا يتجرأ احدهم ان يقطف من ملكه حبة واحدة ثم هوطعوا بعد ذلك على الفواكه وخفف عليهم في شركة الزيتون وكان السبب في المقاطعة والتخفيف فرار الناس عنها بسبب الجور وتركها حتى تبورت ، فصلحت بسبب المقاطعة أحوال الناس ونمت اموالهم وامتدوا في الاحياء والغراسات وعمرت المدينة والحوائز والبساتين ونفقت الاسواق وقويت التجارة وصار المسافرون ينزلون بالمدينة ويبيعون ويشتررون وكانت في المدينة بداوة ثم تمدت واكتسبت حضارة وزيد بعد الستائة في جامعها الاكبر زيادة ظاهرة وجلب اليها الماء على ستة أميال من عين طيبة الماء عجيبة القدر بموضع يقال لها تاجيا واجرى الماء الى البساب الجوفي من ابواب الجامع وسمى باب الحفافة وكان متصلاً بالباب الذي يسمى لهذا العهد باب الزرارعين وبنيت قريباً من هذا الجامع دار للوضوء حافلة على مثال دار الوضوء بقساس وهذا كله في أيام الموحدين وكان بهذه المدينة في أيام الموحدين ثلاث حمامات البالي والجديد والصغير وهي باقية لهذا العهد وكان احدث فيها ابو زكرياء يحيى بن غنصالة المهاجر المعروف بابن اخت الفنس في العشر الثانية من القرن السابع حماماً كبيراً حفيلاً

محكما فجاء في غاية الاتقان ، وكان أبو زكرياء هذا فنشياً هاجر الى سلطان الموحدين واستوطن مكناسة مظهراً لدين الاسلام وكان يسكن بها في دار كبيرة بشرقي الجامع الاعظم مقابلة لاحد أبوابه تنسب لعلي بن ابي بكر احد حفاظ الموحدين كان قد ولى العمل بها وكان أبو زكرياء هذا قائد فرسان يتصرف في ردع شرار البربر الرحالين وكان في زى الموحدين فاعلا للخير محباً في أهله وله في احداث هذا الحمام مناقب اشتهرت عنه من ارضائه اصحاب الديار التي اشتراها لذلك في أثمانها وغير ذلك وعمر هذا الحمام ماشاء الله تعالى ثم خرب منذ زمان وءاثاره باقية لهذا العهد عند سوق الغزل منها ، وفيه يقول الاستاذ ابو عبد الله بن جابر في رجزه المسمى بنزهة الناظر وانما الحمام كان الفنش * ذاك الذي اذ كان كان العيش وقد ذاكرت بذلك يوماً ونحن بها شيخنا الخطيب البليغ ايا العباس احمد بن سعيد الغفجيمي فقال يعارضه من غير كبير روية

هناك حمام بنام الفنش * وهو الذي قد كان فيه الفنش
من الرجال ومن النسوان * بكشف أعضاء لهم حسان
لاجل هذا نابه الخراب * فلم يكن بعد به طيباب
بل بان منه الماء والاكواب * فساله في جوفها انسكاب
وصار مأوى البوم والوطواط * من غير درهم ولا قيراط
والعنكبوت عمرت أركانها * بنسج أرديتها المهان
كذلك عقبى كل شكل زاه * حيد به عن طاعة الالاء

وقد كان الشيخ احمد اللحياني الورتاجني أيام قيامه بمكناسة احدث بها حماماً حول داره ودثر بعده ثم عمر لهذا العهد ينسب اليه يقال له حمام المريني وهو الآن رابع حماماتها ويقال بلغت عمارتها الى ان كان بها اربع مائة مسجد قال الاستاذ ابن جابر * وحول كل مسجد سقاية * فالله تعالى اعلم ، (وللمدينة ستة ابواب) باب البراذعين وباب المشاورين وبمقربة منه هوايمي اى تحمي ودار الاشراف وجامع الخطبة القديمة ويعرف لهذا العهد بجامع النجارين ، وباب عيسى وباب القلعة وكان يسمى بهذا الاسم قبل ان تبنى هنالك القصة على مسايطهم من كلام بعضهم والله تعالى اعلم وباب اقورننج وباب دردورة وربما قيل له باب الصفا وكانت اقطارها سبعة اسباع

زهرهون وبنو كلثوم وبنو ورتنكسين وولهاصة وبنو دنسون وابي أرحان بالجيم المعقودة
و بنو أبي السمح و تمت هذه البلاد وعمرت ولم تزل في نمو وقود حتى انتهت بحجابها
الى مئين من الآلاف ثم اختلت بحجور العيال واخذت في النقص من سنة كائنة
العقاب وكانت كائنة العقاب في صفر من سنة تسع وستائة ثم تفاقم الامر عند قيام
بني مريـن على الموحدين وأتت الفتنة على الحوائر المذكورة كلها و دثرت ولم يبق منها
الا الصوامع والجدران العتيقة وءاخر ما خرب منها و دثر ورزيلة بعد ما كانت هذه
الحوائر شاركت المدينة المذكورة بعد بنائها في كثرة العبارة والبقاء لله وحده ، نقلت
اكثر ما ذكرته من تقييد وجدته للقاضي أبي الخطاب سهل بن القاسم بن عبد الله
ابن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش وقال فيه ان حماداً هذا الذي ينسب اليه بيت
بني حماد من بيوت الزغابشة كنيته أبو عيسى يلقب بالقبي لما تزوج بني دار النارنج
بحارة تاورا في أسرع زمان كان بها مجلس كبير عال محكم البناء زعموا انه بناء في
اسبوع وبقيت الدار قائمة يسكنها عقبه الى أوائل المائة السابعة ومحمد بن حماد كان
فقيهاً قرأ قرطبة وبغيرها وحج جلة من أهل زمانه وهو الذي امتحنه بدر بن الجحوط
مع قرابته السبعة حسبما تقدم وعبد الله بن محمد بن حماد قرأ في صغره بمدينة فاس
ومنها هاجر الى الموحدين وقرأ بعد على رجال الحضرة ومعهم وكانت له عناية
بتأليف الامام المهدي وبما املاه خليفته ابو محمد عبد المومن وله في اثبات هذه
الهداية موضوع استخراج بالاستقراء من الكتاب العزيز كان شيوخ طلبة الموحدين
يسألون أبدأ عن هذا الكتاب وينتوون عليه وعلى فاضله الى أن ولي الشيخ ابو
ابراهيم اسماعيل بن محمد بن ايوب المصالي بأشمام الصاد زايما عمل مكناسة وكان
متشيعاً للمهدي حافظاً لتأليفه قائماً على مذهبه من طلبة الموحدين ومن زهادهم وكان
ناقداً عليهم غير راض عما ابتدعوه فألح في طلب هذا الكتاب حتى ظفر به فكان
ءاخر العهد به وكان عبد الله المذكور قد استقضاء امير المومنين ابو يعقوب بن عبد
المومن بن علي مدينة شاطبة وجزيرة شقر ومن ذلك الوقت استقر بشرق الاندلس
بعض ذريته ولما أسن رغب في ايطان بلده فأسعفت رغبته واستوطن داره بتاورا الى
ان مات سنة اربع وتسعين وخمسمائة في سن الثمانين وزعموا انه لم يدخل قط تاجدرت
التي هي مدينة مكناسة انفة منه لما أصيب به والده وقرابته من المحنة التي تقدم ذكرها

وكانت من النشاء قاضيهم ابي المطرف ابن عميرة ثم بعد ذلك استخلص بنو مريـن بلاد المغرب كلها واستقلوا بالامر وصالحـت أحوال مدينة مكناسة ولم تعد العارة بعد ذلك والله اعلم لحوائرها بل صارت كلها جنات وغرس الناس على ردوماتها وقد بقي من ذلك لهذا العهد صومعة بني موسى وصومعة بني زياد ومسجد السور القديم وصومعته وحمام بني مروان في عرصة يقال لها اليوم عرصة الحمام وسقطت صومعة تاورا لنحو ستين سنة والله تعالى اعلم (وذكر ابن خلدون) أن السلطان أبا يوسف المريني لما فرغ من بناء البلد الجديد المسمى بفاس الجديد أمر ببناء قصبة مكناسة اهـ وبني بها السلطان أبو يوسف أيضاً مدرسة الشهود التي باعلى سماطهم هناك ويقال لها مدرسة القاضي لأنها كان يدرس بها القاضي أبو علي الحسن بن عطية الوائشريسي وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى ؛ ثم نوه بها أبو الحسن المريني المسمى بابي الحسـنات الكثير الآثار بالمغرب الأقصى واللاوسط والاندلس فبني فيها مرافق كثيرة كزاوية القورجة وزاوية باب المشاورين وغير ذلك من السقايات والقناطير في طرقاتها ونحوها ومن أجل ذلك المدرسة الجديدة وكان قدم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة ابا محمد عبد الله بن ابي الغمر ، فحدثني والذي رحمه الله أنه كان يسمع ممن أدرك من الشيوخ أن السلطان أبا الحسن رحمه الله تعالى لما اخبر بتمام بنائها جاء اليها ليراهـا فقمـد على كرسي من كراسي الوضوء حول صهريـجها وجيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها ففرقها في الصهريـج قبل ان يطالع بما فيها وأنشد

لاباس بالغالى اذا قيل حسن * ليس لما قرت به العين ثمن

ولما ولى بعده ولده ابو عنان نوه بها أيضاً وتفقد احوالها وكان من جملة ذلك أن أمر بالاقتصار على عشرة من الشهود بها وعزل الباقيـن على كثرتهم وكان من جملة من اثبت في العشرة الذين عينهم الشيخ ابا علي الحسن بن عطية الوائشريسي رحمه الله تعالى فشق ذلك على بعض شيوخ الشهود المؤخرين لحدائـة سن ابي علي المذكور فصنع ابو علي رجزاً ورفعـه الى مقام السلطان ابي عنان يقول فيه

نبدأ أولاً بحمد الله * ونستعينه على الدواهي

ثم نوالى بالصلاة والسلام * على رسول دونه كل الانام

وبعد ذا نسأل رب العالمين * أن يهب النصر امير المؤمنين

خليفة الله أبا عنان * لازال في يمن وفي أمان
ملكه الله من البلاد * من سوس الاقصا الى بغداد
ويسر الحجاز والجهاد * وجعل الكل له مهادا
يا أيها الخليفة المظفر * دونك امري انه مفسر
عبدكم نجل عطية الحسن * قد قيل لا يشهد الا ان أسن
وهو في امركم المعهود * من جملة العشرة الشهود
نص عليه أمركم تعيننا * وسنه قارب أربعين
مع الذي ينتسب العبد اليه * من طلب العلم وبجته عليه
على القرائض له ارجوزه * ابرز في نظامها ابرزه
ومجلس له على الرسالة * فكيف يرجو حاسد زواله
حاشا أمير المؤمنين ذاكا * وعدله قد بلغ السماكا
وعلمه قد طبق الافاقا * وحلمه قد جاوز العراقا
وجوده مشتهر في كل حي * قصر عن ادراكه حاتم طي

ولم يزل أهلها أيام بنى مدين في خير وثروة وكانت الساعة نزلت أيامهم على صومعة
جامعها الاعظم والناس في صلاة العصر فقتلت نحو سبعة رجال وهدت بعض أركان
الصومعة ودخلت في تخوم الارض بباب بازاء الصومعة يعرف اليوم بباب الزرا رعين
فاتتدب لبنائها شيخ الاسلام الفقيه ابو عمران موسى بن معطي المعروف بالعبدوسي
واستنجد أهل اليسار منهم فجمعوا من المال ما أصلمحوا به ما انشلم من الصومعة
المذكورة فيما حدثني به والدي والشيخ المعمر ابو زيد عبد الرحمان النيار موقت الجامع
المذكور ومزوار مؤذنيها وكانت المجاشر محدقة بها من كل جهة كل مجشر بمزارعه
وغراساته ومراعيه الى ان ظهر فساد السعيد بن عبد العزيز في أرض المغرب وذلك
في العشرة الثانية من القرن التاسع فخلت المجاشر وانجلي عنها اهلها فيقال خلى من
مجاشرها حينئذ اثنا عشر الف مجشر والبقاء لله وحده وكان زيتونها الذي تنسب اليه
متصلا بها وبحاراتها من كل جهة وكانت له غلة عظيمة لا يأتي عليها الحصر فلما ثار
بها الشيخ اللحياني الورتاجني وسام اهلها سوء العذاب وضبطها للحصار وعصها
بقائده ايوب بن يعقوب الشجاع الذي اربى بشجاعته وشهامته على عامل المرباطين

بها بدر ابن ولجوط الذي تقدم ذكره وملكها اللحياني المذكور نحو عشرين سنة وذلك في العشرة الثالثة والعشرة الرابعة من القرن التاسع فتوالت عليها الفتن بسبب ذلك وانقر زيتونها قطعاً وأحداقاً واتسع الحرق على الراقع ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم تداركها الله سبحانه بدخول الامير ابى زكرياء الوطاسي وكان رضى الله تعالى عنه متمسكاً بالدين محباً للخير مكرماً لاهله متخلقاً بالاخلاق الحميدة والشيم المرضية فأحسن الى اهلها وعفى عن اهل الجفاء منهم واسقط كثيراً من الوظائف الظلمية وجدد بها بعض الرسوم الدارسة وانشأ بجامعها المجلس المسمى بالاسبوع لكون القراء يجتمعون فيه لقراءة القرآن العزيز في كل اسبوع وأمر بتحويل باب الحفاة الى قيب دار الوضوء الكبرى التي تقدم ذكرها ورأى ان ذلك أنسب من الباب الجوفي الذي كان قبل ذلك للحفاة كما تقدم فلما حفر الصنّاع في السبّاب الموالي لدار الوضوء المذكورة لينبوا به مجرى الماء وجدوا ذلك هناك مبناً بناء متقناً ولم يكن عند أحد به علم ولا بقاء من مسني المدينة من عنده من ذلك خبر فقضى الناس العجب من فطنة الامير المذكور رحمه الله تعالى. وكان بهذا البلد علماء اجلة فمن مشاهيرهم الشيخ الفقيه القاضي الصالح ابو عبد الله بن ورياش كان يدرس الموطن بالمدينة المذكورة ويملى عليه من المتقى للباجي والاستذكار لابن عبد البر ويقتتح مجلسه بذكر الله تعالى وكان يتبرك به ويلتمس منه الدعاء وقبره هناك معروف بالموضع المسمى بمسجد الشجرة ومنهم الفقيه الشهير العالم العلامة حائز قصب السبق في المعقول والمنقول ابو عبد الله محمد بن ابى الفضل بن الصباغ رحمه الله تعالى وقد ذكره ابو عبد الله بن مرزوق الجد في كتابه الذي صنف في مناقب ابى الحسن المريني وذكره ابو زيد ابن خلدون في كتاب العبر وذكره ابن الخطيب السلطاني في بعض فهارسه وكان من كبار العلماء الذين استصحبهم السلطان ابو الحسن المريني في حركته الى افريقية كالفقيه الحافظ ابى عبد الله السطى والاستاذ الزواوي واجتمع هنالك بالامامين ابن عبد السلام وابن هارون شارحي ابن الحاجب وبالامامين ابى زيد وابى عيسى موسى ابى الامام التلمسانيين واخذ معهم في العلم واعطى والله تعالى أعلم. وحدثني شيخنا الاستاذ السيد ابو الحسن علي بن منون الحسنى انه بلغه عنه انه املى في مجلس درسه بمكناسة على قوله عليه السلام: ابا عمير ما فعل النعير، اربعةائة فائدة وكنت تأملت هذا الحديث فانقدح لي فيه

زهراء مائتين وخمسين من الفوائد فقيدت رسومها ولم اجد فراغاً لبيسطها « ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها » وحدثني بعض اعيان الاصحاب انه بلغه ان الفقيه ابن
الصباغ المذكور سمع بمقصورة تلمسان المحروسة ينشد كالمعانيب لنفسه

يا قلب كيف وقعت في اشراكهم * ولقد عهدتكم تحذر الاشراك

أرضي بذل في هوى وصباية * هذا لعمر الله قد أشقاكا

ومات رحمه الله تعالى غريقاً في اسطول أبي الحسن المريني على ساحل تونس هو
والفقيه السطحي والاستاذ الزواوي وغير واحد في نكبة ابى الحسن المعروفة . ومن
نظمه رحمه الله في العلاقات المتبرة في المجاز وفي المرجحات له

يا سائلا حصر العلاقات التي * وضع المجاز بها يسوغ ويجمل

خذها مرتبة وكل مقابل * حكم المقابل فيه حقاً يحصل

عن ذكر ملزوم يعوض لازم * وكذا بعلمه يعاض معلل

وعن المعم يستعاض مخصص * وكذلك عن جزء ينوب المكمل

وعن المحل ينوب ما قد حله * والحذف للتخفيف فيما يحمل

وعن المضاف اليه ناب مضافه * والضد عن اضداده يستعمل

والشبه في صفة تين وصورة * ومن المقيد مطلق قد يبدل

والشيء يسمى باسم ما قد كانه * وكذلك يسمى بالبديل المبدل

وضع المجاور في مكانة جاره * وبهذه حكم التماكس يكمل

واجعل مكان الشيء آله وحيه * بمنكر قصر العموم فيحصل

ومعرف عن مطلق وبه انتهت * ولجلها حكم التداخل يشمل

وبكثرة وبلاغة ولزومه * لحقيقة رجحانه يتحصل

ومنهم الفقيه الحافظ أبو سالم ابراهيم بن عبد الكريم الجروزي النهم والفقيه ابو
عبد الله القطراني قال شيخنا ابو عبد الله القوري انه بلغه ان أحدهما كان يستظهر
كتاب ابن يونس والآخر يستظهر كتاب تبصرة الاعمى ومنهم الفقيه المحصل
الشريف الحاج المجاور ابو عبد الله محمد بن ابى البركات الحسنى رأيت له نظماً بليغاً
في علاقات المجاز ومنهم الجماعة الذين لقيهم أبو عبد الله بن الخطيب بها عام ٧٧١
احدى وسبعين وسبعائة حسبما ذكر في رحلته المسماة بنفاضة الجراب ، فيمن بقى من

الاصحاب ، قال لما دخلها نزل بدار حافلة وأتت اليه القضاة والعدول والادباء والفضلاء
فمنهم الشيخ الفقيه القاضي كان بها أبو محمد عبد الحق بن سعيد بن محمد كان من أهل
المعرفة والفصاحة قائم على كتاب أبي عمرو بن الحاجب ممتاز به فيما دون تلمس قرأه
على الشيخين علي الأفق القبلي أبي موسى وأبي زيد ابني الامام وتصدر لاقرائه الآن
فما شئت من اضطلاع ومعرفة، وقيد جزءاً نبيلاً على فتوى الامام أبي بكر بن العربي
المسمى بالحكمة سماء بالحارمة على الرسالة الحاشية اجاد فيه وأحسن وقرأت عليه
بعضه وأذن في تحمله. ومنهم الفقيه الفاضل الخير يونس بن عطية الوائشريسي له عناية
بفروع الفقه وولى القضاء بقصر كتامة ، ومنهم الفقيه العدل أبو علي الحسن بن عثمان
ابن عطية من أهل الحساب والقياس على الفرائض والعناية بفروع الفقه ومن ذوي
السداجة والفضل وقرض الشعر وله أرجوزة في الفرائض مبسطة العبارة مستوفية
المعنى ، ومنهم الفقيه العدل الخير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي عفيف المتصدر لقرأة
كتاب الشفا النبوي لديه جملة حسنة من أصول الفقه أشف بها على كثير من نظرائه
قرأة منه اياها على أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل بن الصباغ وشاركه في قراءتها
على الامام أبي عبد الله الابلي ، ومنهم الفقيه المدرك الاستاذ في فن العربية أبو علي
عمر بن عثمان الوائشريسي حضرت مذاكرته في مسألة أعوزت عليه وطال عنها سؤاله
وهو قول الشاعر:

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً مالم يروا عنده آثار احسان
وصورة السؤال كيف وقع أفعال بين شئيين لا اشتراك بينهما في الوصف اذا
وقع الشاعر أكيس بين الناس وبين ان يمدحوا وهو مؤول بالمصدر وهو المدح ولا
يوصف بذلك ومنهم الشيخ الفقيه العدل الاديب الاحباري المشارك أبو جعفر أحمد
بن محمد بن ابراهيم الاوسي الجنان من أهل الظرف والانطباع والفضيلة كاتب عاقد
ناظم ناثر مشارك في فنون من العلم له تصنيف حسن في ثلاثة أسفار اسمه المنهل المودود
في شرح المقصد المحمود شرح فيه وثائق ابن القاسم فأربنى على الاجساد بياناً وافادة
وناولني اياه واذن في حمله عنه وأنشدني كثيراً من شعره ، فمن ذلك ما صدر به رسالة
يهني بها ناقهاً من مرض

البس الصحة رداً قشيباً وارشف النعمة نغراً شنيا

واقطف الامال زهراً نظيراً * واعطف الاقبال غصناً رطيباً
ان يكن ساءك وعد تقضى * تجد الاجر عظيم رحيباً
فانتعش دهرك ذا في سرور * يصبح الحاسد منه كشيئاً
قال وقرأت بالدور الحشي بالدار الذي نزلت بها أبياتاً متنقشة استحسنتها لسهولة
فأخبرني أنها من نظمه وهي

انظر الى منزل اذا نظرت * عينك يعجبك كل ما فيه
ينبي عن رفعة لمالكه * وعن ذكاء الحجا لبانيه
يناسب الوشى في أسافله * ما يرقم النقش في أعاليه
كانه روضة مدبجة * جاد لها وابل بما فيه
فأظهرت للعيون زخرفها * وأوقفتها على تجليه
فهو على بهجة تلوح به * ورونق للجمال يديه
يشهد للسالكين ان لهم * من جنة الخلد ما يحاكيه

في ابيات اخر قال وفاتحته محر كا قريحته ومستثيراً ماعنده بقولي:

ان كانت الآداب أضحت جنة * فلقد غدا جنانها الجنان
أفلامه القضب اللذان بدوحها * والزهر مارقته منه بنان
وذكر ابن الخطيب بعد البيتين سجعاً بليغاً ثم قال فراجعي الجنان بما نصه:
ياخاطب الآداب مهلاً فقد * ردك عن خطبتها ابن الخطيب
هل غيره في الارض كقولها * وشرطها الكفوّة قول مصيب
أصبح للشرط بها معرّساً * فاستقت في الفسخ فهل من مجيب

أيها السيد الذي يتنافس في لقاءه ويتغالى، ويصادم بولائه صرف الزمان ويعالى،
وتستنتج نتائج الشرف بمقدمات عرفانه، وتقتنص شوارد العلوم برواية كلامه، فكيف
بمدائنات عيانه، جلوت علي من بنات فكرك عقائل نواهد، وأقت بها على معارفك
الجمّة دلائل وشواهد، واقتنصت بشرك يديهتك من المعالي أوابد شوارد، وفجرت من
بلاغتك ويراعتك حياضاً عذبة الموازد، ثم كلفتني من اجراء ضالعي في ميدان ضليعيها،
مقابلة الشمس النيرة بسراج عند طلوعها، فأخذت اخلاص مهيض الجناح، وفمرت
فرار الاعزل عن شاكي السلاح، وعلمت أنني ان أخذت نفسي بالمقابلة، وأدليت دلو

فريحتي للمساجلة ، كنت كمن كلف الايام مراجعة أمسها ، أو طلب ممن علته السوء محاولة لمسهاء ، وان رزيت من القريحة بسجيتها ، وأظهرت القدر الذي كنت استمجت من ركيبتها ، أصبحت مسخرة للراوين والسامعين ، ونبت عن اسمي دواوينهم كما تنبوا عن الاشيب عيون العين ، ثم ان أمرك ياسيدي لا يحل وثيق مبرمه ، ولا يحل نسخ محكمه ، فامثله امتثال من لم يجد في نفسه حرجاً من قضاائك ، ورجوت حسن تجاوزك واغضائك ، أبقاك الله قطباً لفلک المكارم والمناثر ، وفصلاً لخاتم المحامد والمفاخر ، والسلام . قال ومنهم القاضي بها الشيخ الفقيه الخير أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي رمانة شيخ فاضل من أهل الحياء والخشية وذوي السداجة والعفة ذاعبته وقد تأخر عني يوم وصولي بما تقرر عذره وعفا على عتبه الاعتاب فقلت :

جفا ابن أبي رمانة وجه مقدمي * ونكب عني معرضاً وتحامان
وحجب عني حبه غير جاهل * باني ضيف والمبرة من شان
ولكن دراني مغريباً محققاً * وان طعامي لم يكن حب رمان

وذكر بعده نثراً بديعاً يوقف عليه في محله انتهى . فأما الجنان هذا فليس هو من بني الجنان المشهورين هنالك وهم أخوالي وقد أدركت ابنته لصلبه ام الحياء عجوزاً عمياء ، وأما أبو عبد الله محمد بن أبي عفيف فهو جدي أبو ام امي رحمهم الله تعالى وأما أبو محمد بن سعيد بن محمد المسكلاقي فقد كان شيخنا الفقيه الحافظ أبو عبد الله القوري يحكي ان السلطان أبا عنان استقدمه من مكناسة فقدم عليه ومعه أتباعه وأعوانه فلما بلغ باب المشور بالبلد الجديد تركهم مع بغلته ودخل على السلطان فعزله من خطة القضاء بسبب عدم مبالاته به في تنفيذ الحق فخرج فوجدهم فروا عن بغلته ثم بدا للسلطان من وقته فاسترجعه واستعطفه وأعاده لحظته فلما خرج وجدهم دائرين بالبغلة وهذا شأن الناس كما قيل

الناس أعوان من واثقه دولته * وهم عليه اذا خاتته أعوان

ومنهم الزغابشة وقد انتقل بعضهم لعدوة الأندلس وبعضهم لمراكش وقد ذكر ابن عبد الملك في تكملته جماعة منهم ومن قدمائهم منهم أبو العباس أحمد بن محمد بن حماد المتبحر مع قرابته السبعة كما تقدم كان فقيهاً حافظاً لكتاب الله تعالى كثير التلاوة له متديناً ماهراً مع ذلك في معرفة الهيئة والتعديل عمي ء آخر عمره فلما كان

عند الموت تلا « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » فحدث الحاضرون أن
 الله تعالى رد عليه بصره قال حفيد أخيه أبو الخطاب فلا أدري أنص لهم على ذلك أم
 استدلووا بالتلاوة ومنهم ابنه قاضيهما أبو الحسن ومنهم صهره أبو اسحاق بن أبي حافة
 ومنهم العبادسة المشار اليهم فيما تقدم ومنهم أبو علي الوشريسي الأكبر عم أبي
 علي الأصغر المتقدم الذكر ومنهم أبو علي الوشريسي الأكبر ومنهم بنو العافية ومنهم
 بنو جابر والفليونيون وبنو اركاز ومنهم بنو عبد المنان ومما اشتهر من الحكاية عن بعضهم
 وهو والله اعلم أبو العباس أحمد بن يحيى بن عبد المنان انه عرض له الشيطان فيما بين
 فاس ومكناسة فقال

اكنتم السابح في لجه * ولم تقاتوا ذوات الجناح
 هذا وقد عرضتم للفناء * فكيف لو خلدتم يا وقاح

فأجابه ابن عبد المنان ارتجالاً

بالعقل قد فضلنا ربنا * وسخر الفلك لنا والرياح
 والحوث والطير متاع لنا * فما لنا عليهما من جناح

ومنهم بنو الصباغ وبنو العريف وبنو خالد ومنهم أبو الحسن بن حبق وقد حدثني
 الشيخ المعمر أبو زيد عبد الرحمن النيار مزوار المؤذنين بحاجمها الاعظم ان ابن حبق
 هذا ريء في المنام بعد موته فسئل عما لقي من الله سبحانه فأشدد

حسبوا على وقيدوا * فعل القبيح مع الحسن
 ورأيت امرأ هائلاً * حتى لعمرى كدت ان
 وعفوا وذلك شأنهم * لله در أبي الحسن

وانشدني شيخنا أبو الحسن علي بن منون الحسني لابن حبق المذكور

عبد من الحسنات اصبح مفلساً * وبضدها ثوب الديانة دنسا

يمسي ويصبح للخطايا كاسباً * لم ينهه من الصباح ولا المساء

يعاتب نفسه رحمه الله. ومن سكنها الاستاذ أبو العباس الغماري كان شديد الحفظ
 للقرآن العزيز يسأل عما قبل الآية فيجيب مسرعاً وكان استاذ الاقراء واستاذ الغناء
 وكان له تلامذة يحسنون الصناعتين ومنهم قاضيهما أبو المطرف بن عميرة وقد ذكره
 ابن الخطيب في الاحاطة ومنهم ابن عبدون حائر قصب الساق في الشعر والكتابة

ومنهم خطيبها ابو محمد عبد الله بن عون حدثني شيخنا ابو العباس احمد بن سيد الخطيب ان السلطان ابا عنان لما ان سمع جزالته في خطبته قال لبعض خواصيه: أهذا هذا؟ اعجابا به ومنهم خطيبها ابن عبد الله ومنهم ابن حرزوز ومنهم مؤلف زهر الآكام كان يسكن بدرب النخلة على مقربة من دار الدباغ ومن سكنها واستوطنها ولي الله تعالى الشيخ الصالح العارف الورع الرباني ابو العباس سيدي احمد بن عاشر ومسجده بها معروف ومنها انتقل لسلاوفيه يقول ابن الخطيب في قصيدته العينية السلوية التي وجهها الى سلا ايام خلف بها اهله وولده

بولي الله قابداً وابتدر * واحد الآحاد في باب الورع

ومنهم الفقيه ابو موسى عمران الجاناقي شيخ شيوخنا وكان قد قيد على المدونة عن شيخه ابي عمران موسى العبدوسي تقيداً لآباس به وهو الآن بجامع الاندلس من فاس كلاها الله تعالى. ومنهم الاستاذ المقرئ الشاعر المجيد الحسن شيخ شيوخنا ابو عبد الله محمد بن جابر الغساني ذو التصانيف الحسان والقصائد العجيبة وله تسميط البردة النبوية للإمام ابي عبد الله البوصيري ونظم المرقبة العليا في تعبير الرؤيا ببلدة مكناسة رجز بديع سماه بنزهة الناظر لابن جابر. ومنهم الشيخ الصالح الزاهد المتواضع حسن الاخلاق ابو محمد عبد الله بن احمد المتبرك به حياً وميتاً له بيت حسب بفاس كان ارتحل منها للمشرق فحج ولقي الاخبار من المشايخ فأشار اليه بعضهم فيما يقال باستيطان مكناسة فاستوطنها حتى توفي بها وله مناقب كثيرة رضى الله تعالى عنه. ومنهم ابو زكرياء الصبان الشيخ الصالح المدفون بابي سهل ومنهم الشيخ ابو زكرياء ان ترحالين يقال سماه البربر بذلك لشجرات امرها بالارتحال من منابتها فارتحلت والله تعالى اعلم وهو الشيخ الصالح المدفون بوادي السكلي. ومنهم شيخ شيوخنا ابو عبد الله محمد بن عمر بن الفتوح اصله من مدينة تلمسان فانتقل الى فاس ثم الى مكناسة فأقام بها حتى مات هنالك رحمه الله تعالى حدثني شيخنا ابو زيد عبد الرحمان القرموني وكان قد ارتحل اليه من فاس والى رفيقه في العبادة ابي محمد عبد الله بن محمد المذكور فأقام يخدمهما بمدينة مكناسة تسعة اعوام ومن ثم كانت معرفته بوالدي رحمه الله تعالى ان السبب في انقطاعه للعبادة وزهده في الدنيا انه كان في ايام شبخته حسن المنظر نظيف الثياب وكان من نجباء طلبة العلم فمرت به امرأة فجعل يسرق النظر اليها فقالت له اتق الله يا ابن الفتوح

«يعلم خاتمة الاعين وما تخفى الصدور» فنفعه الله بكلامها ولما انتقل من تلسان الى فاس اخذ الفقه عن شيخ الجماعة ابى موسى عيسى بن علال المصمودي وكان يقرأ ألفية ابن مالك بالمدرسة المتوكلية ويقيم أوده بالجامعية المرتبة عليها ثم عرضت عليه رئاسة التدريس للفقه بمدرسة العطارين فاستخار الله تعالى فرأى في المنام عجوزاً شمساً سقت له في عمارية بانواع الملاحى فلم يعلم انها الدنيا فلم يقبلها وكان يضيق ذرعه من مخالطة من لا يحفظ لسانه عن الغيبة وغيرها من كلام الهجر ويتمنى لو وجد رفقاء يعينونه على الخير فدل به بعض الناصحين على الشيخ الصالح ابى محمد عبد الله بن أحمد واحتجابه فارتحل اليه بمدينة مكناسة فظفر ببغيته وصار كما قيل : (وافق شن طبقه وافقه فاعتقه) وحدثني والدي رحمه الله انه كان يراه يقعد الى المساجد الحسنية ويعمرها بقراءة القرآن العزيز وحدثني ابو زيد المزوار انه أول من ادخل مختصر خليل لهذه البلاد عام خمسة من القرن التاسع وانه اصابه الطاعون وهو يقرأ البخاري بالجامع الاعظم من مكناسة عند خزانة الكتب وذلك عام ثمانية عشر من القرن المذكور فحمل الى بيته بالمدرسة الجديدة فلما كان عند الموت لقنه بعض الناس فقال له: الشغل بالذكر عن المذكور غفلة، وحدثني شيخنا الفقيه العلامة ابو عبد الله القوري انه كان يقول سبب ار محالى لفاس في طلب الفقه مسألان سئلنا عنها فلم يحضرننا جواباً مع شهرتهما مسألة المكث من المنذور وهى في كتاب الايمان والنذور من المدونة، ومسألة: من اشترى جارية فشرط انها تيب فالهاها بكراً - ما حضر احبائنا فيها شئ غير انهم قالوا هذا كمن تلف له قب ووجد حماماً وهى منصوبة في نوازل ابن سهل انه ان شرط ذلك لغرض كما اذا كان شيخاً كبيراً لا يطيق الاقتراع او كان حلف الا يظاً بكراً او أن لا يملكها فله ردها والا فلا ، وحدثني شيخنا ابو عبد الله القوري ايضاً انه لما كان بمكناسة فرضت احدى يديه فلم يتمكن له مسح اذنيه الا باليد الصحيحة فلما مسح بها اليمنى وأراد ان ينقلها لمسح اليسرى اشكل عليه الامر في استيناف الماء فلم يذكر فيه نصاً فاحتاط وجديد وكان بينه وبين شيخ الجماعة ابى محمد عبد الله العبدوسي ود واخاء وكان كل منهما يفيد صاحبه فكتب اليه يخبره بما نزل به وبما فعل وهل يذكر فيها نصاً فأجابه لا اذكر فيها شيئاً ولو نزل بي مثل ذلك لفعلت فعلك، ومنهم شيخ شوخنا الفقيه الزاهد الرباني المريني ابو عبد الله محمد بن سعيد الحباك العفجيسي اخو

شيخنا الخطيب ابي العباس بن سعيد وشيخه كان والله تعالى اعلم في مقام الجلال لان الغالب عليه القبض وكان معاصره الشيخ ابو محمد بن حمد المذكور في مقام الجلال لان الغالب عليه البسط والله سبحانه أعلم ومنهم شيخ شيوخنا ابو عيسى مرسى بن الحاج كان اماماً في علم العربية يقوم على تسهيل ابن مالك ويقرر الفقه بحججها الاعظم تقريراً حسناً وكثيراً ما ينشد متمثلاً :

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردى بالسود

حدثني بذلك عنه الشيخ المعمر ابو عبد الله بن الاستاذ بن جابر المذكور. ومنهم الشيخ الذكي المتقن الحجة الحاج ابو عبد الله محمد بن عزوز الصنهاجي جود القرآن العزيز على الاستاذ ابن جابر المذكور وحفظ الحديث والتاريخ ونفع في الطلب وارتحل الى المشرق ولقي به جماعة من الاعلام وأخذ منهم كالامام العلامة أبي عبد الله بن مرزوق الحفيد وغيره ورجع الى بلده مكناًسة وانتفع به شيخنا أبو عبد الله القوري كثيراً وحدثني عنه انه نزل ببعض المشاركة فقدم له طعاماً عندهم يقال البازين فلم يصب منه كبير شيء فقال ما لك لا تاكل فقال انه لم يكن بارض قومي فأجذني اعافه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الضب فعلم انه من أهل الحديث فبالغ في اكرامه وحدثني عنه انه سمع الامام الرباني ابا عبد الله البلالي الذي اختصر الاحياء للامام أبي حامد الغزالي يقول الحديث الذي جاء فيه: الباذنجان لما اكل له، اصح من الحديث الذي جاء فيه: ماء زمزم لما شرب له، او قال هو اتمن منه سنداً او كما قال، قال شيخنا ابو عبد الله القوري وهذا خلاف المعروف ثم أعاد الرحلة الى بلاد المشرق فمات هنالك رحمه الله عليه، ثم تزوج زوجته بنت الجنان رحمه الله عليهما فهي امي والحاج المذكور والد اخوتي لامي وقد كانت امي حفظت منه حديثاً كثيراً من الصحاح وكادت ان تحيط حفظاً بالادعية الواردة في الصحاح فحفظت منها كثيراً في ايام الصغر فلم اتعب في حفظه بعد الكبر والله الحمد وكانت رحمها الله تعالى ملازمة لدرس القرآن العزيز في المصحف وكان عليها كثيراً من تفسير قصصه وأخباره فنفعتنا بذلك في الصغر غاية برد الله تعالى ضريحها، وحدثني الشيخ المعمر أبو عبد الله بن الاستاذ بن جابر قال خرج أبي مرة بتلامذته لينزههم بعرة كانت له بوادي أبي

وكان اذا اراد لقاء الشيخ محمد بن عبد الله بن واجاج تلقاه بالبحيرة التي تولى
غراستها في ذلك التاريخ كما تقدم وكان ببلده مكرماً وجيهاً يزوره قضائه وطلبتة
واعيانه ، وأما القاسم ابنه فولى القضاء بمجبات المغرب ومجبات غرناطة ثم انقبض عن
ذلك واقتصر على الفلاحة ببلدة تاورا اوفر ما كانوا عددا وثروة ومعهم السودان
المسمون هنالك عبيد الحرمة رجال السودان يلعبون النكاف بالحديد ويرقصون
ونسائهم يضربون آلة اللعب ويغنين والزامر يزمرون عليهم باي قرون وكانت هذه المناكير
من عوائدهم في افراحهم واقام بتاورا حتى مات رحمه الله تعالى ، وأما ابنه ابو الخطاب
سهل الذي نقلنا من تقييده فذكر انه ولد بوادي ءاش وارتحل به ابوه الى تاورا ثم
ارتحل هو بعد موت ابيه هناك الى الاندلس ءاخر سنة ست عشرة وستائة وذلك لما
توالت اسباب الحراب على تاورا وغيرها من الحوائر فولى بالاندلس قضاء اماكن
كثيرة مرة في رندة ومرة في ءاسجة ومرة في غيرها وولى مرة قضاء طنجة ثم قدم
آخذاً مسدداً بمروسة والبقاء لله وحده وأظن أي وقفت في بعض التواريخ على ان بنى
عبد وس من جملة قرى مكناسة كبنى برنوس والمفهوم من ذلك ان اهلها من جملة قبائل
مكناسة واليههم ينسب العبادسة من بنى معطى اعقاب الشيخ الفقيه المشاور المدرس
أبي عمران موسى العبدوسى فمنهم ولده الفقيه المحدث الحافظ ابو القاسم وولده ايضا
الفقيه أبو عبد الله وحفيده الفقيه المحدث الحجة شيخ شيوخنا ابو محمد عبد الله بن محمد
ابن موسى بن معطى العبدوسى وهم بيت كبير من بيوت العلم اقام فيهم العلم ورياسته
دهراً طويلاً حتى في نسائهم وءاخر علمائهم ام هاني العبدوسية اخت ابى محمد المذكور
ولما ظهر بنو مريس وشنوا الغارات على بسائط المغرب واختل امر الموحدين كان من
تورة على ابن العافية بمدينة مكناسة وقيامه على عامل الموحدين وتمكينه البلد من بنى
مريس ثم فرارهم عنها ورجوع الموحدين اليها واعتصام علي ابن العافية بالقلوع من
جبل زرهون وخروج خطيبها الشيخ الصالح المتبرك به ابي علي منصور بن حرزوز
مع صبيان المكاتب بالواحد على رؤوسهم شغاء لاهل بلدهم عند سلطان الموحدين
لما قدم عليهم وقبول شفاعتهم ما هو معروف ثم ازداد امر الموحدين ضعفاً وعلا أمر
بنى مريس فعادت اليهم مدينة مكناسة وذكر ابن خلدون ان امير بني مريس امر
اهل مكناسة حينئذ ان يوجهوا بيعتهم الى الحفصى سلطان تونس فوجهوها اليه

عمير واغفل تلميذه ابا عبد الله بن عزوز فلم يدعه فيهم فقال يعاتبه في ذلك
ليت شعري وذاك ليس بمنغني * ما يرد الفوات حرف تمنى
اي ذنب قرفته يا عمادي * فخرنا من قربكم قرب عدني
ومنحننا الاعراض اذ عرض لنا * س فاعظم بذلك الذنب مني
وهب الذنب فيه يعظم هلا * منكم كان حسن عفو وطني
في ابيات كثيرة فأجابه الاستاذ بقصيدة علق بحفظي منها :

يا بديعاً فاق البديع بنظم * في عروض من الخفيف ووزن
يعني بديع الزمان وعلامة همدان . وكان له صديق من بني العافية يقال له يحيى وهو
اخو الفقيه القاضي ابي العز ففرض فكواه طيب كان هالك يقال له ابن سالم فمات
فرثاه بقصيدة رائية يقول فيها معرضاً بقتل الطيب اياه بالحي :
ولقد كوى قلبي فراقك كية * كادت تكون كما كواك المحور

ومنهم شيخ شيوخنا الفقيه الخير الناصح ابو عبد الله محمد بن العافية المعروف
بالاحول كان عية نصح لشيخنا القوري انتفع به كثيراً وله موضوع في المسائل الواقعة
في المدونة في غير مواضعها وقد كان ابو العباس احمد قاضياً بالمدينة المذكورة فلما
عرضت عليه الخطة بعد ابيه زهد فيها وهو اخو ابي العز ويحيى المذكورين فوق هذا .
ومنهم الفقيه ابو الحسن علي بن عمر وقد تقدم ذكر ابي الحسن للتلاحدوتي . ومنهم
الفقيه المشاور المفتي الحجة ابو القاسم بن حبيب الحريشي كان ابو محمد عبد الله
البدوي يثني عليه في مجلسه وقد ادركته بالس فقط . ومنهم الفقيه العدل المعروف
بابن سعدون . ومن ادركت منهم الفقيه الاستاذ القاضي ابو عبد الله الغرناطي والقاضي
الاعدل الثبت ابو عبد الله بن اخصري والشيخ المعمر العدل الاديب المجيد الشاعر
المفلح ابو زيد عبد الرحمن بن ثابت وقد كان في اسلافه من ولي قضاء المدينة المذكورة
فيما اخبرني به شيخنا القوزي رحمه الله حدثني ابن ثابت المذكور انه كانت بينه وبين
جدي للام ابي زيد عبد الرحمن بن الجنان رحمه الله تعالى صداقة فكان من حسن
عهده يراعى في ذلك على صغر سني وحدثني بمنافسة كانت بينه وبين الاستاذ ابي عبد
الله بن جابر بسبب القصيدة اللامية النبوية التي قالها في ايام المولد ومطلعها :

ألا حي الديار ديار ايملى * ومربها اذا ادلجت ليل

ومهما جئت مضاهها سحيرا * فحجرت للتحية فيه ذيل
وهي قصيدة كبيرة عجيبة مشهورة عندهم وقال له ابو محمد عبد الله العبدوسي ذات يوم
وقد رءاه قوس او كاد : لا تنحس يا شيخ لا تنحس . فقال محبباً له بديهة :
يا سليل الكرام نفسي فداكا * قلت لا تنحس وأنت كذلك
خفض الظهر فاعل الدهر منا * مع حال عدمت منها انفكا
ختم الله للجميع بخير * انه قادر على فعل ذاك
ومنهم الفقيه العدل الارضى أبو محمد عبد الله بن العريف كان مجتهداً في طلب
العلم ورحل بسببه لفاس وروى عن الاستاذ ابى زيد الحادري مقصورة شيخه ابى زيد
المكودي التي مطلعها

ارقتى بارق نجد اذ سرى * يومض ما بين فرادى وثنا
اهبى اذ هب منه موهناً * ما سد ما بين الثريا والثرى
فيا له من بارق ذكرني * من الهوى ما كنت عنه في غنى
اثار شوقاً كان منى كامناً * بين ضلوعي طال ما فيها نوى

وروى عنه وعن غيره غيرها وظهرت نجابته الا انه اخترمته المنية في صغره كما اتفق
لمعاصره ابى الفضل ان المجراد بمدينة سلا وكان أمر الله قدراً مقدوراً ولم أدرك هذا الفاضل
وقد كانت بيتنا وبين نجله الفقيه القاضي الارضى الاعدل ابى عبد الله محبة ومواخاة
وكان له حسن عهد ما رأيته لغيره رحمه الله تعالى وعن ادر كته وزرته الشيخ الصالح
الملاقي ذو المكاشفات التي لا تحصى والبركات التي لا تستقصى أبو يوسف يعقوب المعروف
بابي فقفت تواترت كراماته عند الخاصة والعامة من اهل مكناسة وفاس وغيرها وفي
حفظي منها ما لو دوتته لخرج في كراريس والله تعالى اعلم وكفى بما ظهر عند معرفته
كرامة وبركة وذلك انه لما احتمل الى قبره خارج باب البراذعين منها اتبعته طير
بيض ماريئت الا في ذلك الوقت فكانت ترقرق على نعشه حتى ادخل قبره رضى الله
تعالى عنه ورءاه ذلك كل من شهد جنازته من الرجال ومن النساء وقد خرج اهل
المدينة كلهم الامن شد ولم يكن هنالك يومئذ وكنت اقرأ في فاس ولو تتبعنا
من كان فيها من الاعيان والسادات ما طمعنا بالاحاطة بعشر عشره وقد كنت
اردت ان اجمع من امكن منهم مرتين على حروف المعجم فجمعت منهم جملة صالحة

ثم خدت القريحة عن ذلك وجدت الطبيعة وعاق العوائق وشط المزار وعادت عوائد
بيننا وخطوب ومبارز من الغيب فهو المختار وربك يخلق ما يشاء ويختار ولو لم يكن
من مفاخر مدينة مكناسة الا اشتغال عملها على مدفن ولي الله تعالى المجمع عليه شيخ
المشائخ سيدي أبي يعزى لكان كافياً وقد ذكرت في الفهرسة الموسومة بالتعلل برسوم
الاستناد بعد انتقال أهل المنزل والناد بعض من اقيمت بها كالشيخ الفقيه المتقن أبي زيد
عبد الرحمان الكاواني والشيخ الاستاذ أبي الحسن بن منون الحسني والشيخ الخطيب
الاحفل أبي العباس احمد بن سعيد الغفجيسي كما ذكرت هناك شيخنا العلامة أبا عبد
الله القوزي فيمن اقيمت بمدينة فاس كلاها الله تعالى وكان هذان الشيخان قد ارتحلا من
مكناسة الى فاس وسبب ارتحالهما مشهور عند الناس فلتقبض عنه العنان والله تعالى
المستعان وقد رأيت ان اختم هذا المجموع بما ذكر أبو عبد الله بن الخطيب في
رحلته المسماة بنفاضة الجراب فيمن بقي من الاصحاب لما عرف بهذه المدينة قال وأطلت
مدينة مكناسة في مظهر المجد راقلة في حلة الروح مبتسمة عن شنب المياه العذبة سافرة
عن اجل المرعى ، قد احكم وضعها الذي اخرج المرعى ، قيد البصر وفذلكة الحسن
فنزلتا بها منزلا لا يستطيع العين ان تخلفه حسناً ووضعاً من بلد دارت به المجاشير
المعلقة والتفت بسوره الزياتين المفيدة وراق بخارجه السلطان المستخلص الذي يسمو اليه الطرف
رحب ساحته والتفاف شجره ونباهة تينته واشراف ربوه ومثلت بازائها الزاوية القدمى المعدة
للوارد ذات البركة التامة والمأذنة السامية والمرافق المتيسرة يعاقبها الجنان البديع
المنصب الحصين الغلق الغاص بالسابلة والجوابة في الارض يتغنون من فضل الله ، تقابلها
غربا الزاوية الحديثة المربية رونق الشبية ومزية الجدة والانفساح وتفنن الاحتفال هـ
والزاويتان معاً من بناء امير المسلمين ابني الحسن المريني جدد الله تعالى عليه رحمته
بفضله الا ان الاولى بناها في دولة ابيه والثانية بناها بعد استقلاله بالدولة ثم قال ابن
الخطيب وبداخلها مدارس ثلاث لبث العلم كلفت به الملوك الجليلة الهمم واخذها التنجيد
فيجاءت فائقة الحسن ماشئت من ابواب نحاسية وبرك فياضة تقذف فيها صابى المساء
اعتناق أسدية وفيها خزائن الكتب والجراية الدارة على العلماء والمتعلمين وتفضل هذه
المدينة كثيراً من لداتها بصحة الهواء وتبحر أصناف الفواكه وتعمير الخزين ومداومة
البر لجوار ترابها سليماً من الفساد معافي من العفن اذ تقام ساحات منازلها غالباً على

اطباى الآلاف من الاقوات تتناقلها المواريث ويصاحبها التعمير وتتجافى عنها الارض
ومحاسن هذه البلدة المباركة حجة قال ابن عبدون من اهلها والله دره :
ان تفتخر فاس بما في طيها * وبأنها في زيتها حسناء
يكفيك من مكناسة ارجاؤها * والاطيان هواؤها والماء
وبهامتها شرقاً جبل زرهون المتفجر العيون الظاهر البركة المتزاحم العمران
الكثير الزيتين والاشجار قد جلله الله سكرأ وراقاً حسناً فهو عنصر الخير ومادة
الحجى وفي المدينة دور نبيهة وبنى أصيلة والله تعالى ولى من اشتملت عليه بقدرته وفيها
أقول

بالحسن من مكناسة الزيتون * قد صح عذر الناظر المقتون (١)
فضل الهواء وصحة الماء الذي * يجرى بها وسلامة الخزون
سحت عليها كل عين ترة * للمزن هامية الغمام هتون
فاحمر خد الورد بين اباطح * وافتر ثغر الزهر فوق غصون
ولقد كفها شاهداً مهما ادعت * قصب السباق القرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بجوه * فبكت عذاب مياحه يسون
وكانها هو بربرى نافذ * فى لوحه والتين والزيتون
حيث من بلد خصب ارضه * مثنوى امان او مناخ امون
وضفت عليك من الالاء عناية * تكسوك ثوبى امنة وسكون

انتهى ما قصدنا نقله من نقاضة الجراب ولم اكن وفقت عليها حين ابتدأت هذا
الجموع فلذلك اقتصرنا في صدره على الخمسة الابيات التي علقنا بحفظي من هذه
القصيدة وقال في ريحانة الكتاب ونجعة الكتاب مكناسة مدينة أصيلة وشعب للمحاسن
وفصيحة فضلها الله تعالى ورعاها واخرج منها ماءها ومرعاها فيجانها مريع وخيرها
سريع ووضعها له في فقه الفضائل تفريع عدل فيها الزمان وانسدل الامان وفاقت

(١) قال كاتبه سأل الله وجدت بطرحة هذه الابيات يبين لبعض الادباء بتاريخ ١١٢٥ وها

الله درك لو رأيت زماننا * ما صح عذر الناظر المقتون

فسد الهوى واتاح كل بلية * ومضرة بسلامة الخزون

نسأل الله العلي

الفواكه فواكهها ولا سيما الرمان وحفظ أقواتها الاختزان ولطفت فيها الاواني والسكران ودنا من الحضرة جوارها فكثير قصادها من الوزراء وزوارها وبها المدرس والفقهاء ولقصبتها الابهة والبهاء والمقاصير والابها اه قال المؤلف محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن غازي العثماني منسوباً لابي هثمان وهو من قبيلة كنانة حسباً ذكر ابن خلدون في كتاب العبر نشأت بهذا المدينة كما نشأ بها اسلافي وقرأت بها ثم ارتحلت الى مدينة فاس في طلب العلم أظنه سنة ثمان وخمسين وثمانمائة فأقمت بها ماشاء الله تعالى ولقيت من الاشياخ بالمدينيتين جماعة ذكرت مشاهيرهم في الفهرسة التي سميتها بـ (الفتل) رسوم الاسناد بعد انتقال اهل المنزل والناد) ثم عدت الى مدينة مكناسة فأقمت بها بين اهلي وعشيرتي زماناً ثم انتقلت الى مدينة فاس كلاها الله تعالى فاستوطنتها

وكان ما كان مما است اذكركم * فظن خيراً ولا تسئل عن الخبر
وانما الدنيا قنطرة للعباد يعبرون عليها ليوم المعاد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رماداً بعد ما هو ساطع
وما المال والاهلون الا ودیعة * ولا بد من يوم ترد الودائع
والله سبحانه یتختم لنا ولكم بالحسنى ويجمعنا وإياكم في المقر الأسنى بحجاء سينا
ونينا ومولانا محمد خاتم النبيئين وامام المرسلين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه
الطيبين الطاهرين وءاخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الحمد لله - خرج المؤلف رحمه الله في ءاخر عمره لقصر كتابه المذكور بقصد الحراسة
فالم به مرض فتاب لفاس واستمر مرضه الى ان توفي بها اثر صلاة الظهر من يوم
الاربعاء تاسع جمدى الاولى سنة تسع عشرة وتسعمائة وصلى عليه ولده أبو العباس سيدي
احمد بالمقابر بالكفادين الموضع المعروف داخل باب الفتوح عدوة فاس الاندلس
صبيحة يوم الخميس التالى له واحتفل الناس لحضور جنازته احتفالاً عظيماً حضرها السلطان
وووجود دولته فن دونه وأتبعوه ذكراً حسناً وثناء جميلاً وتأسفوا لفقدته اسفاً عظيماً
رحمه الله ورضى عنه ونفع به اه من خط تلميذه سيدي عبد الواحد الونشريسي رحمه
الله بواسطتين